التماسك النصي: مقاربة لسانية نصية في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي

عبد الحق سوداني
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الشاذلي بن جديد– الطارف

ملخص

تناولت في هذا المقال مقاربة نصية لسانية لقصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي، فدرست وسائل الاتساق فيها، كالإحالة والوصل والتكرار والتضام. كما بحثنا عن آليات الانسجام التي تعمل على تماسك القصيدة، كالتغريض وموضوع الخطاب والتناص والسياق. واكتشفنا من خلال تحليل القصيدة أنها غنية بأدوات الاتساق وآليات الانسجام، مما جعلها نصا لغويا متماسكا خاصة إذ وضعناها في إطار سياق الموقف المنتج للخطاب. وفي الأخير وجدنا أن النص يشتمل على هذه العناصر اللغوية وغير اللغوية التي جعلته يتسم بميزة النصية.

كلمات مفاتيح: مقاربة لسانية نصية، اتساق، انسجام.

La cohérence textuelle approche linguistique dans la poésie de Elhamzia Elnabawia de Ahmed Chawki

Résumé

*Dans cet article, on a tenté de discuter une approche linguistique textuelle du poème '**Alhamzia Alnabawia**' de Ahmed Chawki. On a étudié les différents outils de cohésion comme la référence, l'opposition, la fréquence, etc. En plus, on a cherché les mécanismes de la cohérence du texte comme les thèmes des 'discours' et 'contexte', etc. Dés notre analyse du poème, on a trouvé qu' il est riche avec les outils de cohésion et les mécanismes de cohérence; ça donne au texte la qualité **'unifié'** spécialement dans le contexte ou il été produit. En fin, on a trouvé que le texte inclus tous les éléments mentionnés précédemment, linguistique ou non linguistique. Cet étude a montré une qualité de texte: la textualité.*

Mots-clés: Approche linguistique textuelle, cohésion, cohérence.

The textual coherence textual linguistic approach in the poem Elhamzia Elnabawia of Ahmed Chawki

Abstract

*In this article, we attempted to discuss a linguistic textual approach of the poem '**Alhamzia Alnabawia**', written by Ahmed Chawki. We tackled its tools of cohesion like reference, frequency, etc. In addition, we searched for the mechanisms of coherence which leads to the poem strength such as the themes of 'discourse and 'context'. From our analysis of the poem, we found that it was rich with cohesion and coherence devices; this renders it a unified linguistic text especially when put in its context of the discourse production. At last, we found that the text involves all the aforementioned elements, and this provides it with the quality of '**textuality**'.*

Key words: Linguistic textual approach, cohesion, coherence.

مقدمــة

ظلّت مقاربات النصوص بعيدا عن النصية أمدا طويلا، فطغت المناهج السياقية في تحليل النصوص والخطابات. فإذا كان المنهج الاجتماعي، هو الذي يقارب النص فيصبح ظاهرة اجتماعية وليس نصا أدبيا إبداعيا. وإذا كان المنهج النفسي هو من يحلل به، فيصبح النص الأدبي حالة نفسية تطبق عليه ملامح الأنا والأنا الأعلى والهو، وظل الحال هكذا إلى أن جاءت اللسانيات كمعرفة لغوية بناءة، وبعد أن استطاعت أن تتجاوز الدراسات الجزئية وما تفرعت عليها من اتجاهات ومدارس كدراسة الجملة ووظائفها، إلى دراسة النصوص والخطابات، فوجدت نفسها تواجه تحديات منهجية ومعرفية في كيفية تحليلها ومقارباتها، بإجراءات لغوية تطبيقية فعالة وموضوعية، فكانت اللسانيات النصية هي المعرفة القادرة على مواجهة الظواهر النصية بمفاهيم معرفية وإجرائية، تجمع بين الشكل والمعنى، والنص والسياق، والبنية والاتصال في إطار تفاعلي.

وقد انتقيت قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي لدراستها، والتي جاءت في سياق مدونة كاملة تتمثل في ديوانه، محاولا إظهار أدوات الاتساق وآليات الانسجام، والتي جعلت منها بنية متماسكة.

وانطلاقا من الأهمية المعرفية والمنهجية لهذا الموضوع يمكن طرح الإشكالية الآتية: كيف تجلت أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزية النبوية؟ وما دورها في تحقيق نصية القصيدة؟.

وتعتمد المقاربة اللسانية النصية للنص، على مفهومين محددين في الإطار التحليلي:

1- مفهوم الاتساق:

يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص /خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية)، التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته[1] فيكون مترابطا من أوله إلى آخره، ذا بنية تركيبية واحدة، يشكل وحدة دلالية ذات معنى، "فهو مفهوم دلالي، وإذ إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص"[2]. فالاتساق ذو طبيعة أفقية خطية، تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، ويتحقق من خلال أدوات الربط النحوية، ووسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة، ويكون الاتساق على المستوى التركيبي والمعجمي.

1-1 المستوى التركيبي:

1-1-1 الإحالة: الإحالة ظاهرة لغوية تركيبية ودلالية قارة في النصوص والخطابات، وهي تدل على "أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"[3]، فتحقق بذلك الإحالة وظيفتها التي تتمثل في عملية الربط بين الجمل والعبارات بالإضافة إلى خلق المعنى والتأويل المناسبين لدلالات النص والخطاب. والإحالة نوعان:

*- "إحالة داخل النص: وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ"[4].

وتشمل الإحالة الضمائر بكل أنواعها وأسماء الموصول والإشارة... وغيرها.

- **إحالة على ما هو خارج النص: "وهو إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم"[5]، فيبرز السياق الحالي من خلاله فيحدث الفهم والإفهام.

وقبل أن نغوص في إظهار العناصر الإحالية في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي لابد:

أ- أن نشير في عملية المقاربة إلى الظواهر الإحالية وغيرها كنماذج.

ب- من استعمال الرموز في عملية الوصف؛

- إحالة ضميرية قبلية ⟵ إ ح ض قب.
- إحالة ضميرية بعدية ⟵ إح ض بع.
- إحالة إشارية ⟵ إح إشا.

الوصف:

رقم الجملة الشعرية	العنصر الاحالي	نوعه	العنصر المفترض
2	حول(ه)	إ ح ض قب	النبي"ص"
	به	إ ح ض قب	الرسول"ص"
3	يزهو "هو"	إ ح ض قب	العرش
	تزدهي	إ ح ض قب	الحضيرة
4	بالترجمان	إ ح ض قب	العرش والحضيرة
	شديه "هي"	"	الحديقة
	غناء "هي"	"	الحديقة
5	يقطر "هو"	إ ح ض قب	الوحي
6	نظمت	إ ح ض بع	أسامي الرسل
	هي	إ ح ض قب	" "
7	حروفه	إ ح ض قب	اسم الجلالة
	هنالك	"	اسم الجلالة
8	مرسلين	إ ح ض قب	يا خير من جاء محمد
	لك	"	"
	جاءوا	"	المرسلين
9	الذي	إ ح ض قب	بيت النبيين
	فيه	"	"
14	محياك	إ ح ض قب	الرسول
	الذي	"	محيّاك
	قسماته	"	"
	عزته	"	"
16	عليه	إ ح ض قب	الرسول
	سمائه	إ ح ض قب	المسيح
	تهللت	إ ح ض بع	العذراء
	اهتزت	إ ح ض بع	مريم

يشكل العنصر الإحالي ظاهرة مطردة في قصيدة الهمزية النبوية، بحيث إنها وردت في عشر أبيات فقط أكثر من خمس وعشرين(25) مرة، وهذا ما يمكنها أن تكون ذات وظيفة تركيبية دلالية، وأن الربط بالإحالة الضميرية القبلية والبعدية المرتبطة بالموضوع الرئيسي وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المحال إليه، قد تم بـ:

سبع ومائة حالة، وأن الربط بالإحالة نفسها والتي ربطت بين عناصر الجملة أو بين الجمل في مواضيع جزئية بحوالي مائتي حالة.

وقد تنوعت العناصر الضميرية الإحالية بين المخاطب والغائب مثل: بك، إليك، بيتك، فضله برجائه، أنت، رضيت، غضبت...إلخ.

هذا المزج بين الضمائر الإحالية المرتبطة بالموضوع الرئيس وهو الرسول (ص) تؤدي إلى تماسك المقطع الشعري بفضل التنوع الضميري الإحالي، حيث جعلت من المقاطع الشعرية متضافرة فيما بينها، وأخرجت القصيدة في بنية دلالية متماسكة.

2-1-1 الاستبدال: يعرف هاليداي ورقية حسن الاستبدال على أنه "عملية تتم داخل النص، وهو يتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات وعبارات"[6]، وأنه تعويض عنصر في النص بين الوحدات النصية، التركيبية والدلالية ومن ثم اتساق النص.

أما ملامح هذه الظاهرة اللغوية على مستوى نص الهمزية النبوية فيبدو واضحا، وسنوضح ذلك من خلال الجدول الآتي:

عملية الإستبدال	العنصر المستبدل
الهدى	النبي
يا خير من جاء الوجود	النبي
محمد	النبي
اليتيم	النبي
الأمي	النبي
ابن عبد الله	النبي
المسرى	النبي
أحمد	النبي
شيخ الفوارس	النبي
رسول	النبي
يا من له الشفاعة/ ساقي الجريح/	النبي
مطعم الأسرى	النبي
رسول الله	النبي
اسم الجلالة	الله
الهادي	الله
الكريم	الله
رب	

وظّف الشاعر في الهمزية النبوية مجموعة من الكلمات المستبدلة عن النبي (ص)، حيث عوّض لفظ النبي بكلمات مثل: الهدى، محمد وأحمد ورسول الله، اليتيم، المسرى. ودلالة هذا التوظيف النوعي لاسم النبي (ص) يبرز الخصال والأدوار التي قام بها النبي (ص)، وكل هذه الاستبدالات ساهمت في اتساق النص وتماسكه الدلالي بحيث إن البنية الدلالية تكون بنية متماسكة.

3-1-1 الوصل: يعدُّ الوصل من وسائل الاتساق، بحيث إنه يحدد "الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم"[8]، وهو يعمل على انتظام الخطاب من البداية إلى النهاية ويسهم في بنائه وذلك حسب الوقائع الكلامية.

وظّف الشاعر الكثير من أدوات الوصل وخاصة حرف الواو لما له من أهمية في التسلسل النصي للجمل بحيث تكرر ذكره ثلاثا وستين ومائة مرة (163) فساهم استعماله بفعالية في بناء عناصر الخطاب بناء متماسكا، ويظهر ذلك في ربط الكلمات ببعضها البعض مما أدى إلى تشكيل شبكة متحدة الأجزاء. ويمكن توضيح ذلك من خلال النماذج الشعرية في قصيدة الهمزية.

والعرش يزهو والحضيرة تزدهي والمنتهـى والـدرة العصمـاء[9]

وكذلك:

والدين يسـر والخلافـة بيعـة والأمر شورى والحقوق قضاء[10]

وقد ورد الربط بواسطة الفاء تسعًا وعشرين (29) مرة موزعة على كل مساحة القصيدة ويمكن أن نورد أمثلة:

ولـد الهـدى فالكائنـات ضياء وفـم الزمان تبسـم وثنـاء[11]

بـك بشر الله السمـاء فزينت وتضوعت مسكا بك الغبـراء[12]

وكذلك:

والحق والإيمان إن صبا على بردٍ ففيـه كتيبـة خرسـاء[13]

وُظّف الوصل بشكل مكثف في قصيدة الهمزية مما جعلها تنمو نموا بنائيا يعمل على ربط الكلمات والجمل مما يؤدي بها إلى الاتساق والتماسك.

4-1-1 التوازي: يعد التوازي ملمحا من ملامح الاتساق، في الخطاب الشعري خاصة، ويقصد به "الجمل التي يقوم الشاعر بتقطيعها تقطيعا متساويا، بحيث تتفق في البناء النحوي اتفاقا تاما، سواء اتفقت هذه الجمل في الدلالة أم لم تتفق، فالمهم هو التطابق التام في البناء النحوي للجمل المتوازية"[14]، وقد تكون الجمل المتوازية متشابهة التراكيب أو مختلفة بعض الشيء في تراكيبها، فقد تأتي تامة وناقصة، وإذا نظرنا إلى قصيدة الهمزية النبوية نجد أن هناك ملمحا هاما من الجمل المتوازية، وهو الجمل الشرطية المتتالية من البيت الثلاثين(30) إلى البيت الواحد والأربعين(41)، التي حققت نسقا تركيبيا على مستوى مساحة مهمة من القصيدة شكلت تماسكا شكليا ودلاليا وهذه بعض الأمثلة:

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلـت مـالا تفعـل الأنـواء

وإذا عفـوت فقـادرا ومقتـدرا لا يستهيـن بعفـوك الجهلاء

وإذا رحمـت فأنـت أم أو أب هذان في الدنيـا همـا الرحمـاء

وإذا غضبت فإنما هي غضبة في الحق ،لا ضغن ولا بغضاء

وإذا رضيت فإنما في مرضاته ورضـى الكثير تحلـم وريـاء

حتى إلى البيت:

وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر وإذا جريـت فإنـك النكبـاء[15]

إن العناصر التي تملأ بها نفس البنية لا تخلو من علاقة صريحة أو ضمنية فيما بينها "كما قال جيفرسون ودوبو جراند حين إشارتهما إلى أن هناك تعالقا بين الأعمال التي تشدد بواسطة توازي الشكل"[16]، فالأفعال هنا

محيلة إلى الذات نفسها بالطريقة عينها؛ فالأفعال: سخوت، عفوت رحمت، غضبت، رضيت، خطبت، ...ذات دلالات عاطفية إيجابية تحقق مسارا متسقا من المعاني بعدما أدت اتساقا شكليا.

2-1- المستوى المعجمي:

1-2-1 التكرار: يعرّف التكرار بأنه "شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف ويطلق البعض على هذه الوسيلة –الإحالية التكرارية–"[17]، والتكرار قد يكون تاما أو ناقصا، وسنحاول دراسته في قصيدة الهمزية النبوية باعتباره أحد العناصر التي تسهم في تحقيق اتساق النص، وسأوضح ذلك من خلال الجداول:

التكرار التام:

التكرار التام	تكراره	التكرار التام	تكراره
الله	4	نعيم	2
الهدى	3	الصدق	2
اللوح	2	آية	3
محمد	3	دماء	2
الحق	9	الحرب	4
الدين	4	اللوح	2
ملكت	2	النبوة	2
نفس	2	الصدق	2
الدواء	2	اليتيم	2
الداء	2		/
	/		/
	/		/
	/		

التكرار الناقص:

التكرار الناقص	الأبيات	التكرار الناقص	الأبيات
العظائم/العظماء		العهد/ عهدك	/
خلقت/مخلوق	12	حسدوا/ الحسود	42
النبيين/ النبوة	12	الهادي/الهدى	53
فعلت/ تفعل	9/ 15	منال/ تنل	54
قادرا/ مقدرا	30	منة/ ممنونة	54
عفوت/ بعفوك	31	ضربوا/ضربة	79
رحمت/ الرحماء	31	الضلال/الضلالة	104
رضيت/مرضاته	32	يمينه/اليمين	104
أجرت/المستجير	31	الصالحين/الصالحات	96
بنيت/ابتنيت	32	الشفاعة/الشفعاء	116
صحبت/الأصحاب	40		114
	41		/
	/		

إن الناظر في القصيدة يرى أن التكرار يشكل ظاهرة لغوية تنم عن معجم الشاعر الشعري بحيث أنه غطّى كل مساحة القصيدة من أولها إلى آخرها، وأنه مثل عاملا لغويا من عوامل تجسيد الاستمرارية في هذا النص، وأنه يساهم في اتساقه وتلاحمه.

2-2-1 التضام: يعدّ التضام من وسائل التماسك النصي المعجمي ويعرف على أنه "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا إلى ارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[18]، تلك العلاقة الحاكمة للتضام متنوعة فقد تتخذ شكل التضاد أو التنافر.

ويمكن توضيح هذه الظاهرة في الجدول الآتي:

التضام	الأبيات	التضام	الأبيات
النار / الماء	20	الكرماء /البخلاء	80
رواح / غداء	21	الفقر /الغنى	81
أخذت / أعطيت	42	الجهالة /الضلال	104
مشيت / جريت	43	الحرب/ السلم	105
حرائر / إماء	71	الدين/ الدنيا	127
جداول / جلامد	71		
الدواء / الداء	77		

إن علاقة التضام المعجمية تساهم في اتساق النص، لما للألفاظ المتضادة من علائق دلالية ومعنوية تجعل من النص ينجذب نحو التماسك ودوران الدلالة نحو المعاني والمعاني المضادة كما في الأبيات:

21: رواح ⟵ غداء.

42: أخذت ⟵ أعطيت.

77: الدواء ⟵ الداء.

ولهذا تصنع مثل هذه العلاقات تماسكا نصيا بدلالاتها المتناقضة على مبدأ "والضد يظهر حسنه الضد".

2- آليات الانسجام في القصيدة:

2-1 مفهوم الانسجام: إن الانسجام هو مفهوم أوسع من الاتساق، بحيث يتخذ إجراءات دلالية وتداولية، تخص كيفية التعامل مع النص، ويعرف على أنه" خاصية دلالية للخطاب تمتد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل"[19]، وأن من يحدد هده العلاقات الدلالية هو القارئ أو الملتقي، لأن مفهوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ على النص، لأن تأويل النص من جانب القارئ لا يعتمد فحسب على استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها هذا النص، بل يقتضي أيضا إدخال عناصر القراءة التي يملكها المتلقي داخل ما يسمى بكفاءة النص"[20]، وتحدد عناصر الانسجام في:

2-2-1 التغريض: يعدُّ العنوان وسيلة قوية للتغريض إذ يعرف على أنه: "نقطة بداية قول ما"[21] ومن خلاله يستطيع القارئ أن يجد مفاتيح الموضوع، هذا الأخير الذي ينجذب نحو العنوان ومن هنا يكون التغريض " كإجراء خطابي يطور ويُنمّى به عنصر معين من الخطاب. وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية أو حادثة. أما الطرق التي يتم بها التغريض فمتعددة منها: تكرير اسم الشخص واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه"[22]...إلخ.

ولننظر الآن كيف تم تغريض الهمزية النبوية؟

إن أول ما نلاحظ هو أن العنوان نافذة على النص، باعتبار الصفة "النبوية" تختزل كل الدلالات النصية، كما أننا نجد موضوع الخطاب"الرسول صلى الله عليه وسلم معبرا عنه في العنوان كذلك. بالإضافة إلى ذلك فقد اتخذ

التغريض شكل العلاقات الدلالية بين المقاطع النصية فيما بينها وعلاقتها بالعنوان، وعليه فإننا نحدد العلاقة كالآتي:

عنوان القصيدة	المقاطع	موضوع الخطاب
الهمزية النبوية	– ولد الهدى – يا خير من جاء الوجود – يا أيها الأمي – بك يا ابن عبد الله – يا أيها المسرى – هل كان حول محمد – ظلموا شريعتك	شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه الرباني

يتحقق الانسجام النصي من خلال عملية التغريض بفضل العلاقة الدلالية العمودية بين العنوان وموضوع الخطاب، عبر عناصر تماسك دلالية كالإحالة، وذكر اسم الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية كل مقطع، وعمليات الاستبدال المختلفة، كل هذا جعل من التغريض آلية تماسكية نصية.

2-2-2 موضوع الخطاب: يعدُّ موضوع الخطاب آلية من آليات الانسجام النصي، إذ بفضله يتماسك النص تماسكا دلاليا، بحيث إن المواضيع الجزئية المشكلة للخطاب تتجمع وتنتظم لتؤدي في النتيجة إلى موضوع أساسي يدور حوله الخطاب.

وموضوع الخطاب ليس مجرد مركب اسمي بسيط وإنما هو قضية "تصدر بشأنها أو توضح دعوى معينة"[23]، والقضية تشتمل على مجموعة من الأفكار التي تنتظم ضمن أقوال، قد تكون هذه الأقوال كتابا أو مقالا أو قولا.

والقضية المعالجة في الخطاب الشعري للهمزية النبوية هي قضية الرسول (ص) بكل جزئياتها، بحيث إن القصيدة تتألف من ثلاثين ومائة بيت موزعة على ثمانية مقاطع متفاوتة في عدد أبياتها، وكل مقطع جزئي يصلح أن يكون قصيدة مستقلة، غير أن المتعمق لحركة النص أفقيا وعموديا يرى أن مقاطعه تتآزر فيما بينها لتشكل بنية كلية كبرى.

2-2-3 التناص: تهدف الدراسات المتصلة بالتعالق النصي إلى إبراز عدم اقتصار النص على حدث واحد، إذ تدخلت فيه مجموعة من الأصوات الناجمة عن تداخل النصوص ضمن الجنس الأدبي الواحد، فكل نص على حد تعبير بارت "تناص تمثل فيه نصوص أخرى على مستويات مختلفة وتحت أشكال لا تعتاص على الإدراك إلا قليلا سواء ما سلف من نصوص الثقافة وما حضر، فكأن كل نص هو نسيج جديد من شواهد معادة"[24]، وتنتظم فيه مجموعة من النصوص كان صداها قائما في النص الجديد، بحيث تشكل هذه النصوص نسيجا نصيا واحدا يتعالق بعضها مع بعض محدثة بناء متراصا.

ويبرز التداخل النصوصي في نص الهمزية النبوية لأحمد شوقي فيما يأتي:

– إن نص الهمزية النبوية قد اعتمد في بنائه الشكلي على حرف الروي الهمزة على غرار ما اعتمده البوصيري في قصيدته الهمزية.

قال شوقي:

ولد الهدى فالكائنات ضيـاءُ وفم الزمـان، تبسُّـمٌ وثنـاءُ[25]

قال البوصيري:

كيف ترقــى رقيـك الأنبيــاء يا سمــاء طاولتــها سمــاء[26]

– يظهر التداخل النصي في نص الهمزية النبوية في المضامين الموضوعاتية التي وردت في الهمزية للبوصيري مثل:

قال شوقي:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمــان تبسـم وثنــاء[27]

قال البوصيري:

ليلة المولد الذي كان للد ين سرور بيومــه وازدهــاء[28]

قال شوقي:

يا أيها المسرى به شرفا إلى ما لا تنال الشمس والجوزاء
يتساءلون وأنت الأطهر هيكل بالـروح أو بالهيكــل الإسـراء[29]

قال البوصيري:

فطوى الأرض سائــرا والسمــوا ت العلا فوقــها له إسـراء
فضيف الليلة التي كان للمختــا ر فيها على البراق استواء [30]

وهناك الكثير من الأبيات التي ضمنها الشاعر آيات وأحاديث شريفة كالبيت السابع والأربعين (47) والأربع عشرة ومائة (114)، التي تفاعلت كل هذه النصوص الشعرية والدينية في نص الهمزية النبوية وشكلت نصّاً منسجما متضافرا، بحيث ذابت هذه النصوص في النص الأصلي وشكلت بنية دلالية واحدة.

4-2-2 السياق: يعدّ السياق مقوما أساسيا من مقومات فهم النص والخطاب، إذ به نستطيع أن نصل إلى الفهم المحتمل لهما، وإذا قرئ النص بعيدا عن سياقه تكون القراءة غير صائبة، وفي هذا الصدد يقول فيرث: "لدى أهل المنطق نزعة إلى القول بأن للكلمات والأطروحات معنى في حد ذاتها يمكن بطريقة أو بأخرى تحديده بمعزل عن المشاركين في الخطاب والظروف والمناسبات التي وقع فيها الحدث الكلامي. يبدو أنهم لا يرون في طرحهم أهمية الأخذ بعين الاعتبار دور المتكلمين والمستمعين، أما أنا فأقترح أنه لا يمكن الفصل فصلا تاما بين الأصوات المتكلمة وبين السياق الاجتماعي الذي تلعب فيه دورها، وبالتالي فإنه يجب النظر إلى كل النصوص في اللغات المنطوقة على أنها تحمل في طياتها مقومات القول، بحيث تحيل على مشاركين نموذجيين في سياق معمم"[31]، وإذا كان هذا المر ينبغي أن يكون شرطا لازما لكل النصوص والخطابات فإنه ألزم بالنسبة للخطاب الشعري باعتباره حالة موقفية من العالم والأحداث، وبما أنه "فعل تواصلي يخضع لقانون العرض والطلب (سوق القراءة) فإنه لا محالة متوفر على سياق، وليكن داخليا أو خارجيا. إن ليتش يقر بأن السياق المنشأ يعد بمعنى ما، حجر الزاوية في عملية التأويل، لا نستطيع أن نقول إننا نعرف أي شيء تدور القصيدة ما لم تحدد مؤشرات العالم الذي تصوره"[32]. وتتفق كثير من الدراسات المعنية بمسألة السياق على الاكتفاء بما هو ضروري لفهم الخطاب والإحاطة بظروف إنتاجه، ليكون القاسم المشترك بينها جميعا، وخاصة المرسل والمرسل إليه والرسالة والزمان والمكان باعتبارها تمثل مقتضيات المقام.

ونستطيع أن نحدد عناصر السياق في قصيدة الهمزية في:

أ- المرسل: يعرف المرسل على أنه " الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه "[33]، والشاعر أحمد شوقي هو المتكلم، بما يمثله من قامة شعرية وثقافية وحضارية، عاش في مرحلة عرفت فيها الأمة انتصارات قليلة وهزائم كثيرة، وذلك من خلال انتصارات العثمانيين وهزائم الأمة على يد الاستعمار، وفي قصيدته "صدى الحرب" التي تلت الهمزية في الديوان يقول:

ومملكة اليونان محلولة العرى رجاؤك يعطيها وخوفك يُسلب

هددت أمير المؤمنين كيانـها بأسطع مثل الصبح لا يكذب [34]

ويقول في قصيدة أبوة أمير المؤمنين مادحًا السلطان عبد الحميد في قصيدة سابقة لصدى الحرب.

سما بك يا عبد الحميد أبوة ثلاثون، حضّار الجلالة غيب [35]

ب- المرسَل إليه: "هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسِل خطابه عمدا(...) والمرسَل إليه حاضر في ذهن المرسِل عند إنتاج الخطاب، سواء كان حضورا عينيا أم استحضارا ذهنيا، وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسَل إليه هو ما يهم في حركية الخطاب"[36].

فمن يكون المتلقي في هذا الخطاب الشعري؟ ولمن هو موجه أساسا؟ يقول أحمد شوقي:

ما جئت بابك مادحـا، بل داعيـا ومن المديح تضرع ودعـاء

أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة في شلها يلقى عليك رجـاء

رقـدوا، وغـرّهم نعيـم بـاطل ونعيم قوم في القيـود بـلاء[37]

تبين من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يوجه خطابه إلى الأمة بمجموعها، حكاما وعلماء ومثقفين وعامة وخاصة، على أن هذا الكل غافل، وعليه أن يستيقظ ليقوم بدوره في بعث الحضارة من جديد كما كانت.

مشت الحضارة في سناها واهتدى في الدين والدنيا بها السعداء[38]

حاول الشاعر إرسال رسالته في هذا الخطاب وعلى المرسَل إليه أن يستقبل موضوع الرسالة من أي زاوية شاء، فإذا كان حاكما فعليه أن يكون مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في العدل والخلافة، وإذا كان عالما فعليه أن يكون فقيها وبليغا وفصيحا مثله، وإذا كان قائدا فعليه أن يكون مثله كذلك، وإذا كان رجلا بسيطا فعليه أن يكون ذا أخلاق حميدة.

فالقصيدة قد صنعت متلقين متعددين، وذلك حسب مكانتهم الاجتماعية ودرجة وعيهم ودورهم في النهوض بالأمة، وعليه فكل متلق يجد فهمه في القصيدة.

جـ- الرسالة: إن القصيدة باعتبارها "نصا لغويا بعد استعماله، هو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب ويتسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء، وأية محاولة لفصل أجزائه بعضها عن بعض"[39].

وتملك قصيدة الهمزية النبوية من المقومات اللغوية والدلالية والتداولية ما يجعلها رسالة حية تتوفر على إحداث عملية التواصل، وخاصة أنها تتناول موضوعا من أنبل المواضيع التي تجعل من القارئ شغوفا بالاطلاع عليه وهو (الرسول صلى الله عليه وسلم).

فالقصيدة تشتمل على ثلاثين ومائة (130) بيتاً موزعة على ثمانية (08) مقاطع، وكل موضوع يؤدي غرضا خطابيا يقصده المرسِل، وتخللت المقاطع توظيف الألفاظ والمفردات الدينية حتى ينسجم الموضوع مع سياقه الثقافي والحضاري ونجد ذلك في:

1- ذكر أسماء الأنبياء والرسل الذين سبقوا الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يكون امتدادا لهم، فقد ذكرت القصيدة: آدم، وحواء، والخليل، والمسيح، والعذراء.

2- أورد الشاعر ألفاظا ومفردات دينية عامة: الرسل، النبيين، الذكر، التوحيد، الدين، الخلافة شورى، الزكاة، الحق، الإيمان، الشريعة.

3- لقد زاوجت القصيدة بين عالم الغيب وعالم الشهادة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

خاتمـــة

لقد أرست اللسانيات النصية مقاربة شاملة في تحليل الخطابات والنصوص وذلك باعتمادها أدوات إجرائية فعالة، مست كل المستويات اللغوية وغير اللغوية، للبحث عن اتساق النص من جهة وانسجامه من جهة أخرى.

ومن خلال مقاربتنا لقصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي توصلنا إلى نتائج تطبيقية نجملها فيما يلي:

1- أن الدراسة اللسانية لم تقتصر على الجملة، بل إنها تجاوزت إلى النص مع مراعاة خصوصياته البنيوية، المتمثلة في قواعد إنتاج النص، ويعد هذا الانتقال انتقالا منهجيا ومعرفيا، بحيث إن التحول حدث في المنهج والمقولات والأدوات الإجرائية.

2- إن المقاربة اللسانية النصية لا تكتفي بدراسة النص دراسة بنيوية داخلية، وإنما تتجاوز ذلك إلى المستويات السياقية والتداولية، التي تضبط مقاصد المتكلم وغايات الخطاب وقدرة القارىء على تأويل النص.

3- إن تحقيق النصية في القصيدة ترتكز على عدة عناصر لغوية تسهم في اتساق النص، وظهر جليا في قصيدة الهمزية من خلال التنوع بين العناصر اللغوية، كالإحالة والوصل والاستبدال والتكرار والتضام.

4- ساهمت الآليات الدلالية، كالتغريض والتناص وموضوع الخطاب والسياق في انسجام القصيدة وذلك من خلال التمظهرات النصية المتضافرة دلاليا، بحث جعلت من النص وحدة دلالية واحدة.

5- يطغى على القصيدة حضور الإحالة الضميرية القبلية التي تحيل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وهي الوسيلة الرئيسية التي تولت الربط بين الأبيات والمقاطع الشعرية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي ط2، 2006، ص 5.

2- المرجع نفسه، ص 15.

3- المرجع نفسه، ص 17.

4- الأزهر الزناد، نسيج النص المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، ص 118.

5- المرجع نفسه، ص 119.

6- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 19.

7- أحمد عفيفي، نحو النص، مكتبة زهراء الشرق، ط1، ص 123.

8- المرجع السابق، ص 23.

9- ديوان أحمد شوقي، دار صادر، ط1، 2002، بيروت، ص 26.

10- الديوان، ص 30.

11- الديوان، ص 26.

12- الديوان، ص 27.

13- الديوان، ص 32.

14- رجب عبد الجواد، الجمل المتوازية عند طه حسين، دراسة في أحلام شهر زاد، مجلة علوم اللغة، المجلد 3، العدد 4، عام 2000، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 213.

15- الديوان، ص 28.

16- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 230.

17- أحمد عفيفي، نحو النص، ص 106.

18- دي بو فراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط1، 1998، ص 106.

19- صلاح فضل، علم النص وبلاغة الخطاب، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1996، ص 341.

20- المرجع نفسه، ص 338.

21- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 59.

22- المرجع نفسه، ص 59.

23- يول وبراون، تحليل الخطاب، تر: لطفي الزليطي، ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع السعودية، ص 87.

24- عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، المركز الثقافي العربي، ط6، 2006، ص 234.

25- الديوان، ص 26.

26- ديوان البوصيري، مطبعة الزهراء، ط1، 1998، ص 7.

27- الديوان، ص 26.

28- ديوان البوصيري، ص 7.

29- ديوان أحمد شوقي، ص 30.

30- ديوان البوصيري، ص 8.

31- يول وبراون، تحليل الخطاب، ص 46.

32- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 305.

33- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004، ص 45.

34- ديوان أحمد شوقي، ص 45.

35- الديوان، ص 33.

36- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 48.

37- الديوان، ص 32.

38- المرجع نفسه، ص 32.

39- محمد محمد علي يونس، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007، بيروت، ص 157.